﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مجابهةُ هودٍ عليه السلام، لِمَا بدرَ من قومِهِ من كُفرٍ وتحدٍّ

لمّا كان قومُ هودٍ قد بالغوا في السَّفَهِ في القولِ، وكان قد عُلِمَ من مُحاورتِهِ عليه السلام الحلمُ عنهم، اشتدَّ التَّطلُّع إلى ما يكون من جوابِهِ لهذا، والتَّوقُّع له، وإزاءَ هذا التَّحدّي السّافر من قومِ هودٍ له ولدعوته، ولوعيدِ الله لهم، ما كانَ من هودٍ عليه السلام، إلّا أن جابَهَهم بالرَّدِّ الحاسم الَّذي تتجلَّى فيه الشَّجاعة التّامَّة، والثِّقة الكاملة بأنَّ الله سينصرُه عليهم، وينتقمُ له منهم، فشفى غليلَ هذا التَّشوُّف بقوله: ﴿وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَقَعَ﴾: أصابكم ونزلَ بكم، من الوُقوعِ: وهو ثبوتُ الشَّيءِ وسُقوطُه، يُقال: وقع الطّائرُ وقوعًا. وأكثرُ ما جاءَ في القُرآنِ مِن لفظِ (وقع)، جاء في العذابِ الشَّديدِ[2]، وأصلُ وقعَ يدلُّ على سقوطِ شيءٍ مع صدمٍ وشِدَّةٍ، ومنه الواقعة: الدّاهية والنّازلةُ من صروفِ الدَّهر"، ومنه حدوثُ الأمرِ العظيم[3]. والمعنى هُنا: قد وَجَبَ عليكم بِمَقالَتِكُمْ هذه من رَبِّكُم رجسٌ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440، والطّنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 5/306.
(2) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وقع)، وتذكرة الأريب، وابن الجوزي، ص: 113، والكفويّ، الكليّات، ص: 918.
(3) حسن المصطفوي، التَّحقيق في كلمات القرآن: 13/171، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وقع).
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/237، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/435، والشّوكانّي، فتح القدير: 2/249.

2) ﴿رِجْسٌ﴾: عَذابٌ وسَخَطٌ، ويُطلَقُ الرِّجسُ على كلِّ ما استُقذِرَ مِنَ العمَلِ، وعلى العمَلِ المُؤَدِّي إلى العَذابِ والعِقابِ والغضَبِ. وأصل (رجس): النَّتْنُ، ويَدُلُّ أيضًا على اختلاطٍ، ومنه القَذَرُ؛ لأنَّهُ لَطْخٌ وخَلْطٌ[1].

3) ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾: تُخاصمونني، يقالُ: جادلَ يُجادِل مُجادَلةً، خاصمَ، ورجلٌ جَدِلٌ مِجدالٌ، أي: خَصِمٌ مِخْصام[2]، وأصلُ (جدل) يدلُّ على امتدادِ الخصومةِ ومراجعةِ الكلامِ[3]. أتخاصمونني وتناظرونني في أسماءٍ سمَّيتُموها أصنامًا لا تضرُّ ولا تنفع[4].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

ردُّ هودٍ عليه السلام على قومه، وتهديدهُ لهم بالعقابِ الشَّديدِ

قال هودٌ لقومهِ رادًّا عليهم: قد حلَّ بكم عذابٌ وغضبٌ من ربِّكم ﷻ، أتخاصمونني في أصنامٍ سمَّيتُموها أنتم وآباؤكم آلهةً، ما نزَّل اللهُ بها من حُجَّةٍ ولابرهان، فانتظروا عقاب اللهِ، وأنا معكم، ننتظرُ ما ينزلُ بكم[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ شبهِ كمالِ الاتِّصال لجملةِ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ ممَّا قبلَها:

جوابُ المعاندين فيه شفاءٌ لصدورِ المؤمنينَ

لمّا كانوا قد بالغوا في السَّفهِ في قولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾، وكان قد عُلِمَ من محاورته عليه السلام لهم، الحِلْمُ عنهم؛ اشتدَّ التَّطلُّع إلى ما يكون من جوابه لهذا، والتَّوقُّع له، فشُفي غَليلُ هذا التَّشوُّفِ بقوله: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾[6]، فجيءَ بالفصل؛ لأنَّه

(1) الرّاغب، المفردات ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رجس)، والكفويّ، الكليّات، ص: 465، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 145، وابن جرير، جامع البيان: 10/280.
(2) الفراهيديّ، العين: (جدل)، ونشوان الحميريّ، شمس العلوم: 2/1023.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جدل).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/523، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/271.
(5) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 216، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 159، وجماعةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 159.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440.

كلامٌ مستأنَفٌ، مسوقٌ لبيان جواب هودٍ لقومه[1]، فبينَ الجملتينِ شبهُ كمالِ اتِّصال حيث وقعتِ الثّانيةُ من الأولى موقعَ الجوابِ عن سؤالٍ أثارتْهُ الجملة السّابقة، تقديرهُ: فماذا قال؟ والارتباطُ بين السُّؤالِ وجوابه من أعلى وجوهِ الالتئام.

دلالةُ تصديرِ الجوابِ بالحرف (قد):

الإيذانُ بتقريبِ زمنِ الماضي من الحالِ

قوله: ﴿قَدْ وَقَعَ﴾ اقترنَ الفعلُ وقَعَ بـ(قَدْ)؛ للدَّلالةِ على تَقريبِ زَمنِ الماضي مِن الحال، مِثلُ: (قد قامَتِ الصَّلاةُ)[2] تحقيقًا للوقوعِ في مواجهة استهزائهم، والظّاهر أنَّ ما فعلوه قبل حين قليلٌ، كانوا يستحقّون به أشدَّ العذابِ، وكان ردُّه حاسمًا حازمًا، بعد أن أدَّى دورهُ في البلاغِ، وردَّ أمرهُ إلى مَنْ يملك النَّواصيَ، ليصبَّ عقابَهُ على أهلِ المعاصي، مِمَّن كفر وأنكر واستكبر.

سرُّ العدولِ بالتَّعبيرِ عن المستقبلِ بالفعلِ الماضي في ﴿قَدْ وَقَعَ﴾:

الإشعارُ بتحقُّقِ وقوعِ العذابِ بعد استِنفادِ جميعِ الأسباب

قوله: ﴿وَقَعَ﴾ فيه استعمالُ صيغةِ المُضيِّ في مَعْنى الاستقبالِ؛ إشعارًا بتَحقيقِ وقوعِه، فالتَّعبيرُ بالماضي لتنزيلِ المتوقَّع منزلةَ الواقعِ، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 1][3]، وفي ذلك ما فيه من زيادةِ التَّحذيرِ.

التَّعبيرُ بالمجازِ بالفعلِ (وَقَعَ) في قولِهِ: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾:

إفادةُ ثبوتِ العذابِ، وتَحقُّقِ نزولِهِ عليهِم، كما أخبر رسولُهُم

﴿وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي: وجَب وثَبَت؛ لأنَّهم طلبوا العذابَ الَّذي خوَّفهم بهِ وحذَّرهم منه، فقال لهم: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾، وأصلُ استعمال الوقوعِ في نزول الأجسام، واستعمالهُ هنا - فيما ذُكر - مجازٌ من إطلاقِ السَّبَبِ على المُسَبَّبِ. ويجوزُ أن يكونَ في الكلام

(1) الدرة، إعراب القرآن وبيانه: 3/385.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/89، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/210.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/89، والآلوسي، روح المعاني: 4/396.

استعارةٌ تبعيَّة، والمعنى: (قد نَزَلَ عليكم)[1] وفي التَّعبيرِ بالمجازِ تلاؤُمٌ مع التَّحذير؛ إذِ العذاب الآتي من العلوِّ لا مردَّ لهُ.

وقد يُحمل قوله: ﴿وَقَعَ﴾، على معنى وجدَ وحصلَ، والمعنى: إرادةُ إيقاعِ العذابِ عليكم حصلت من الأزلِ إلى الأبدِ؛ لأنَّ قولَنا: حصلَ لا إشعارَ له بالحدوثِ بعد ما لم يكن[2].

والأظهرُ أنَّ: ﴿وَقَعَ﴾، معناه: حَقَّ وثَبَت، من قولهم للأمر المحقَّقِ: هذا واقعٌ، وقولهم للأمر المكذوب: هذا غير واقعٍ، فالمعنى: حَقَّ وقُدِّر عليكم[3]، فأعلمهم بهذا الفعل أنَّ القضاءَ قد نَفَذَ وحلَّ عليهم الرِّجس، وهو السَّخَطُ والعذاب[4].

دلالةُ حرف الجرِّ (على) الدَّاخل على الضَّمير(كم) في ﴿عَلَيْكُم﴾:

الـدَّلالـةُ على الاسـتـعـلاءِ والثُّبوتِ القويِّ مفيدةٌ في الإبانة

بالنَّظرِ إلى المعاني السّابقةِ للفعل (وَقَعَ)، والمفيدةِ للنُّزول، والتَّقديرُ: نجد أنَّ المُقدَّرات تُضاف إلى السَّماء، وحرفُ الاستعلاء على ذلك ظاهرٌ. وفي تعريفِ الوقوعِ بمعنى: الثُّبوت أيضًا يكون حرف الاستعلاءِ، إمّا لأنَّه ثبوت قويٌّ آكدُ ما يكون واجبه، أو لأنَّه ثبوتٌ حسيٌّ لأمرٍ نازل من علوٍّ، وعذاب الله تعالى موصوفٌ بالنُّزول من السَّماء[5].

سرُّ تقديمِ شبهِ الجملة الأُولى ﴿عَلَيْكُم﴾ على شبهِ الجملةِ الثَّانيةِ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

استـدعـاؤهـم وقـوع الـعـذاب سبب التعجيل بنزوله

في قوله: ﴿وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تقديمٌ للظَّرف[6] الأوَّل ﴿عَلَيْكُم﴾، على الثّاني (مِنْ رَبِّكُمْ)، مع أنَّ مَبْدأ الشَّيءِ متقدِّمٌ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/237، والآلوسي، روح المعاني: 4/396.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/303.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/209.
(4) ابن عطيَّة الأندلسيُّ، المحرَّر الوجيز: 2/420.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 4/396.
(6) يطلق النُّحاة، وخاصَّة القدماء منهم على الجارِّ والمجرور لفظ الظَّرف، لأنَّ كلمة الظَّرف عندهم تشمل شبهَ الجملة بنوعيهِ المفعول فيه، والجارّ والمجرور وتطلق على كلّ منهما مجازًا، يُنظر: وابن هشام، مغني اللَّبيب، ص: 272.

على مُنتهاه؛ للمُسارعةِ إلى بيانِ إصابةِ المكروهِ لهم، وقُدِّم المجرورُ الَّذي هو ضميرُهم على الَّذي هو وصْفُ ﴿رَبِّكُمْ﴾؛ لأنَّهم المقصودُ الأوَّلُ بالفعلِ[1].

بلاغة تقديم الجارَّيْنِ والمَجْرُورَيْنِ:

للاهتمامِ بتَعجيلِ ذِكرِ المغضوبِ والغاضِبِ والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ

تقديمُ الظَّرفينِ ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على الفاعلِ الَّذي هو قوله تعالى: ﴿رِجْسٌ﴾، للاهتمامِ بتَعجيلِ ذِكرِ المغضوبِ والغاضِبِ، مع ما فيهِ من التَّشويقِ إلى المؤخَّرِ، ولأنَّ المَجرورَينِ مُتعلِّقانِ بالفعلِ، فناسَبَ إيلاؤُهما إيّاه، ولو ذُكِرا بعدَ الفاعِلِ؛ لتوهُّمِ أنَّهما صِفتانِ له[2]. ولأنَّ في الفاعلِ نوعَ طولٍ بما عُطف عليه، من قوله تعالى: ﴿وَغَضَبٌ﴾، فربَّما يُخِلُّ تقديمهما بتجاوبِ النَّظمِ الكريم[3].

سِرُّ انتخابِ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ دونَ الألوهيَّةِ:

التَّذكيرُ بجزاءِ الكُفرِ بالمُنعِمِ المُحسِنِ

قولُهُ: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: مُربّيكم الَّذي غَرَّكم به تواتُر إحسانِه عليكم، وطول إملائه لكم[4]، واللّٰه رؤوفٌ بعبادِهِ وإن عصوه، وهو لا يترك لهم فرصةً لِلرُّجوعِ والتَّجاوز عن فعالهم، إلّا فتح مجال القبولِ فيها، فهو قد عاملَ عادًا قومَ هودٍ بمقتضياتِ الرُّبوبيَّةِ، لا بمستلزمات الألوهيَّةِ، وهو ذاته ما فعله مع نظرائِهم من ثمودَ حين قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فُصِّلت: 17].

معنى الرِّجسِ وبلاغةُ المجازِ فيه:

بيانُ أنَّ الخُبثَ والاضطرابَ موجبانِ للنِّقمةِ والعذابِ

احتمل لفظُ الرِّجس هنا عدَّة معانٍ منها: العذابُ الشَّديد والاضطراب والرِّجس مجازٌ في خبث الباطن وفساد النَّفس، والرِّجس بمعنى: اللَّعنة، وكلُّها هنا مرادةٌ، فاللَّعن سببٌ في الإصابة

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/239، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/210 - 211.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/210 - 211.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/239، والآلوسي، روح المعاني: 4/396.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/441.

بخبثِ الباطن، وفسادِ النَّفس، وكلاهما سببٌ في العذاب الشَّديد والاضطرابِ، وفي هذا إيجازٌ وإعجازٌ[1].

عَطْفُ الغَضَبِ على الرِّجْسِ، وتأخيرهُ عليه:

حلولُ غضبِ اللهِ عليهم بسببِ خبثِ نفوسِهم

قوله: ﴿رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ عطفَ الغضبَ على الرِّجس لبيان أنَّ الرِّجس قد أُريدَ بهِ الانتقامُ الحتمُ، فلا يمكنُ رفعهُ[2]، وتأخيرُ الغضبِ عن الرِّجسِ؛ لأنَّ الرِّجسَ، وهو خبثُ نُفوسهم، قد دَلَّ على أنَّ استمرارهم في الضَّلالِ، أصبحَ أمرًا متأصِّلًا فيهم، فأوردَ غضبَ اللهِ عليهم لما وقع منهم من فسقٍ ورجسٍ، فوقوعُ الرِّجسِ والغضبِ عليهم حاصلٌ في الزَّمن الماضي بالنِّسبة لوقت قول هودٍ[3].

نكتةُ تنكيرِ الغضبِ والرِّجسِ:

إفادةُ التَّهويلِ في السِّياق لإعطاءِ الحدثِ ما يستحقُّه من اهتمامٍ

التَّنوينُ في: ﴿رِجْسٌ﴾ و﴿وَغَضَبٌ﴾ للتَّفخيم والتَّهويل[4]، فهُما رِجْسٌ وغَضَبٌ مخيفان، فلا عذابَ كعذاب اللهِ، ولا غَضَبَ كغضبهِ ﷻ. فدلالة التنكير إنما هي لتعظيم أمر هذا الرجس، وهذا الغضب. ثم إن اللهَ جمع عليهم بين العذاب البدني الواقع من الرجس، وبين العذاب النفسي الواقع من الغضب.

بلاغةُ الاستفهامِ الإنكاريِّ:

الإنكارُ عليهم مُخاصمتَهم بالباطل، واستقباحُ وقوعِ ذلك منهم

جاء قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾ استئنافًا بعد الإخبارِ بوقوع ما استعجلوه، وفي الاستئنافِ نعيٌ وتعييب عليهم، وتوبيخٌ لهم، وتحقيرٌ لمستندهم الَّذي يأوون، فهي أسماءٌ لا حقائقَ لها، ولا نفع منها، والمعنى: أتخاصمونني في أسماءٍ سمَّيتموها أنتم وآباؤكم، فهذا إنكارٌ منه لمخاصمتهِم له، فيما لا ينبغي فيه الخصامُ، وهو ذكرُ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/441، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/89، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/210.

(2) محمد رضا، تفسير المنار: 8/444.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/210.

(4) الآلوسّي، روح المعاني: 4/396.

ألفاظٍ ليس تحتها مدلولٌ، يستحقُّ العبادة، فصارتِ المنازعةُ باطلةً بذلك[1]، فالهمزةُ فيه للإنكارِ، والتوبيخ، والاستقباح[2].

نكتةُ التَّعبيرِ عن الأصنامِ بالأسماءِ في مقامِ المُجادلةِ:

بيانُ أنَّ آلهتهم لا تَـخـمِـلُ في حـقـيـقـتِـهـا إلَّا مُـجـرَّد الاسـم الَّذي لا يدلُّ على معناه

لمّا كانت آلهتهم تلك الَّتي يجادلون فيها، لا تزيد على الأسماء؛ لكونها خاليةً من كلِّ معنى، قال: ﴿فِيٓ أَسۡمَآءٖ﴾، ثمَّ بيَّن أنَّه لم يسمِّها آلهة مَنْ يعبد به، فقال: ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾[3]، وذلك لأنَّهم كانوا يسمّون الأصنامَ بالآلهة مع أنَّ معنى الإلهيَّة فيها معدومٌ، كما فعل كفّار قريش حين سمّوا واحدًا منها بالعُزَّى، مشتقًّا من العَزيز، والله ما أعطاه عزًّا أصلًا، وسمّوا آخر منها باللّات، وليس له من الإلهيَّة شيء[4].

وهذا كما يقالُ لما لا يليق، ما هو إلّا مجرَّد اسم، فالمعنى: أتخاصمونَني في مُسمَّياتٍ وضعتم لها أسماء لا تليقُ بها، فسمَّيتموها آلهةً، من غير أن يكون فيها من مِصداق الإلهيَّة شيء ما؛ لأنَّ المستحقَّ للعبوديَّة، ليس إلّا مَنْ أوجدَ الكُلَّ، وهيَ بمعزلٍ عن إيجاد ذَرَّة[5].

بلاغةُ الجناسِ الاشتِقاقيِّ بين لفظي: ﴿أَسۡمَآءٖ﴾ و﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾:

ملاحظةُ اعتبارِ معاني الإلهيَّةِ عند مَـنْ وضعَ تلكَ الأسماءَ

الأسماءُ توضعُ للمسمَّيات المقصودةِ من التَّسميةِ، وهم إنَّما وضعوا لها الأسماءَ، واهتمّوا بها، باعتبار كونِ الإلهيَّة جزءًا من المسمَّى الموضوع له الاسم، وهو الدّاعي إلى التَّسميَةِ، فمعاني الإلهيَّة وما يتبعها ملاحظةٌ لمن وضَع تلك الأسماء[6]، وهذا ما يُشير إليه الجناس الاشتقاقيُّ بين الاسمِ ﴿أَسۡمَآءٖ﴾ وفعلهِ ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/89.
(2) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 9/393.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/441.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/303.
(5) الآلوسّي، روح المعاني: 4/397.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/211.

معنى الفعلِ ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، وعلَّةُ تعدِّيهِ إلى مفعولٍ واحدٍ:

معنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: أحدثْتُموها قَريبًا، أنتم وآباؤكم، وهي (صَمودُ وصُداءُ والْهَباءُ) فالجدالُ إذ ذاك يكونُ في الألفاظ لا مدلولاتِها، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ الجِدال وقع في المسمَّيات، وهي الأصنام، فيكون أطلقَ الأسماءَ، وأرادَ بها المسمَّيات، وذلك على حذف مضاف، أي: (أتُجادِلونَني في ذواتِ أسماء) ويكون المعنى: (سَمَّيْتُموها آلهةً) وعبدْتُموها من دون اللّه، و﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: يَتَعَدَّى إلى مَفْعولَيْنِ، وقَدْ حُذِفَ الثّاني هُنا لدلالة السّياق والحالِ عليه، وقد قيل: إنَّهم سمَّوا كلَّ صنمٍ باسمٍ على ما اشتهوا، وزعموا أنَّ بعضهم يسقيهم المطر، وبعضَهم يشفيهم من المرض، وبعضَهم يصحبُهم في السَّفرِ، وبعضَهم يأتيهم بالرِّزق[1]، فسمَّوا الأصنامَ آلهةً، وذلك معدومٌ فيها[2].

بيانُ إحداثِهم لتلكَ الأسماءِ ونسبتِها للألوهيَّةِ بحسبِ اعتقادِهم فيها

فائدةُ الإتيانِ بالضَّميرِ المنفصلِ (أنتم)، وسِرُّ عطفِ قولِه: ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾:

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ إنكارٌ، واستقباح لإنكارهم مجيئَه ﷺ داعيًا لهم إلى عبادةِ اللّه - تعالى - وحده، وتركِ ما كانَ يعبدُ آباؤهم من الأصنام[3]، فكان إنكارهُ عليهم بحسبِ إنكارِهم وافتخارِهم بتقليدِ آبائِهم من قبلُ، حين قالوا له: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

التَّأكيدُ على أنَّ هذه التَّسمياتِ، هي بدعٌ أحدثوها هم وآباؤهم

دلالةُ صيغةِ (فعَّل) في قوله: ﴿مَّا نَزَّلَ﴾:

قولُه: ﴿نَزَّلَ﴾، هذا التَّفعيلُ يأتي بمعنى الفعلِ المُجَدَّدِ، وبمعنى الفعلِ بالتَّدريجِ، فقَصَد النَّفيَ بكلِّ اعتبارٍ: سواءٌ كان تجديدًا أو تدريجًا، وإشارةً إلى أنَّهُ لو نَزَلَ عليهم في الأمرِ بعبادَتِها شيءٌ

إفادةُ نفي التَّجديدِ والتَّدرُّجِ في الإنزالِ مُبالغةٌ في بيانِ ضلالِهم وعماهم

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/89.
(2) الخازن، لباب التّأويل: 2/217.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/239، والآلوسي، روح المعاني: 4/397.

واحِدٌ، لتوَقَّفوا فيه؛ لعَدَمِ فهْمِهم لمعناهُ، حتى يُكَرِّرَ عليهم الأمرَ فيه مَرَّةً بعدَ أخرى، فدلَّ ذلك قطعًا على أنَّ الأمرَ لهم بعبادةِ الأصنامِ، إنَّما هو ظَلامُ الهوى؛ لأنَّه عَمًى محضٌ، مِن شأنِ الإنسانِ رُكوبُه بلا دليلٍ أصلًا[1].

نكتةُ تخصيصِ اسمِ الجلالةِ (الله) بالذِّكرِ في هذا المقامِ:

التَّنبيهُ على استئثارِ اللهِ بعلمِ الغيبِ، وأنَّه مصدرُ كلِّ تنزُّلٍ

ونَفي أن تكون الحجَّةُ منزَّلةً من اللهِ؛ لأنَّ شأنَ الحُجَّةِ في مثلِ هذا أن يكونَ مخبَرًا بها من جانبِ اللهِ - تعالى - لأنَّ أمورَ الغيبِ ممّا استأثرَ اللهُ بعلمه[2]، والمعنى: أنَّكمْ سمَّيتم بها معبوداتكم، أنتم وآباؤكم، ما نزَّلَ اللهُ بها من حجَّة تحتجّون بها، على ما تدعونه لها من الدَّعاوى الباطلة[3].

سِرُّ تخصيصِ التَّنزيلِ بذكرِ الألوهيَّةِ في هذا المقامِ:

الإشارةُ إلى كونِ الحِجاجِ والمناظرةِ في الألوهيَّةِ

وخصَّ التنزيلَ بالألوهيَّةِ دون الرُّبوبيَّةِ في هذا المقامِ؛ لأنَّه مقامُ حجاجٍ ومناظرة في شأن الألوهيَّة والعبوديَّة، فناسبَ السّياقُ ذكرَ الاسمِ الجليل(اللهِ) الدّالِّ على ذلك.

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بـ(سُلطان) دون (حُجَّة):

بيانُ قوَّةِ السُّلطانِ في كونِهِ يتسلَّطُ على نفسِ المُعارِض، ويُقنعُهُ

السُّلطانُ: الحجَّةُ الَّتي يصدِّق بها المخالفُ، سمّيت سلطانًا؛ لأنَّها تتسلَّطُ على نفس المعارض، وتقنعه[4]، ففي التَّعبيرِ بلفظ (سلطان)، ما في لفظ الحجَّةِ وزيادة، فالسُّلطان البرهان المحقَّقُ للغلبة، والحجَّة فيها معنى قوَّة الظُّهور.

معنى الفاءِ وبلاغةِ الأمرِ المجازيِّ في قولِهِ: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾:

إفادةُ التَّفريعِ بانتظارِ العذابِ على الإنذارِ والتَّهديدِ السَّابق

والفاءُ في قولِه: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ لتَفريعِ هذا الإنذارِ والتَّهديدِ السّابق؛ لأنَّ وُقوعَ الغَضبِ والرِّجسِ عليهم، ومُكابرتَهم واحتجاجَهم بِما لا

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/441 - 442.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/213.
(3) الشّوكاني،: فتح القدير: 8/213.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/213.

حُجَّةَ له؛ ينشأُ عن ذلك التَّهديدِ بانتظارِ العذابِ[1]، فهي للتَّرتيبِ على ما تَقَدَّم[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الأمرِ:

في قولِه: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ صيغةُ الأمْرِ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ للتَّهديدِ والوعيد[3]، مثل قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: 40][4]، فقولهُ: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾، جعلَنا نَفهمُ قولَهُ السّابق: ﴿قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٞۖ﴾، بأنَّ الرِّجسَ والغضبَ قادمانِ لا محالة[5]، فذكرَ لهم ﷺ وعيدًا مُجَدَّدًا، فقال: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾، ما يحصلُ لكم بسببِ عبادةِ هذه الأصنام[6].

إفادةُ التَّهديدِ والوعيدِ الجديدِ بعدَ الوعيدِ السَّابقِ

بلاغةُ حذفِ المعمولِ في قولِه: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾:

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ مترتِّبٌ على قولِه تعالى: ﴿قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم﴾، أي: فانتظروا نزولَ العذاب الَّذي طلبتموه بقولكم: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ إلى آخره[7]، فمفعولُ: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾، محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿رِجۡسٞ وَغَضَبٞۖ﴾[8].

دلالةُ ما سبقَ من الوعيدِ على انتظارِ العذابِ والعقابِ

بلاغةُ الفصلِ في قولِه: ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾:

الجملةُ الأولى إنشائيَّةٌ لفظًا ومعنى، والثّانية خبريَّة لفظًا ومعنى، فقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾، استئنافٌ إخباريٌّ يخبر به هود ﷺ عن حالِه بما يقطع عليهم أيَّ سؤالٍ أو استفسارٍ؛ إعلانًا عن ثقته في وعيد ربِّه لِمَنْ كفر به؛ لأنَّ تهديده إيّاهم يُثير سُؤالًا في نفوسهم أن يقولوا: إذا كنّا ننتظر العذاب، فماذا يكون حالُكَ؟ فبيَّن أنَّه

جوابُ السُّؤالِ الَّناشئ عن التَّهديدِ السَّابق

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/90، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/213.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/397.
(3) ابن عطيَّة الأندلسيُّ، المحرَّر الوجيز: 2/420، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/213.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/213.
(5) الشّعراويّ، تفسير الشَّعراوي: 7/4213.
(6) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/304.
(7) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/240 والآلوسي، روح المعاني: 4/397.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/213.

يَنتظر معهم، وهذا مقام أدَبٍ مع الله تعالى، كقوله تعالى تَلْقينًا لرسولِهِ محمَّد ﷺ: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: 09][1].

بديعُ التَّصديرِ في الفاصلةِ والتَّذييلِ:

في قوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ خُتِمَت هذهِ الآيةُ الكريمةُ بتذييلٍ بديعٍ، يصوِّرُ الفرقَ بين انتظارِ كُلِّ فريقٍ، ففَرْقٌ بين الانتظارَين: انتظارِ مَن يخشَى وُقوعَ العِقابِ، ومَن يَرجُو مِنَ اللهِ النَّصرَ والثَّوابَ، وشتّان بين انتظار العذاب، وانتظار الرَّحمة؛ ولهذا فتَحَ اللهُ بين الفَريقين، فقال: فَأَنْجَيْنَاهُ، أي: هودًا والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ مِنّا، فإنَّه الَّذي هداهم للإيمانِ، وجعَلَ إيمانَهم سببًا ينالونَ به رَحمَتَه، فأنجاهم برَحمته[2]، فجيء بجناسِ الاشتقاق بين ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ و﴿ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ للتَّفريق بين الانتظارين.

مقارنةٌ بينَ مَنْ يخشَى وُقوعَ العِقابِ، ومَن يَرجُو مِنَ اللهِ النَّصرَ والثَّوابَ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الغضب) و(السَّخط):

الغَضَب: هو تغيُّرٌ يحصُل به ثورانُ دمِ القلبِ، لقصدِ الانتقام[3]، ليحصلَ عنهُ التَّشفّي للصَّدر[4]، والغضب ضدُّه الحلم، والغضبُ قد يصحبهُ فعل، وقد لا يصحبهُ.

والسَّخَطُ: ضدُّه الرِّضا،[5] والسَّخط إذا تعدَّى بنفسهِ، فهو خلافُ الرِّضا، يُقالُ: رضيَهُ، وسخطَهُ، وإذا تعدَّى بـ(على)، فهو بمعنى: الغَضَب، يقال: سخط اللهُ عليهِ؛ إذا أراد عقابه[6].

والفرق بينهما: أنَّ في الغضب شِدَّةً وقوَّةً[7]، والغضبُ اشتدادُ

السَّخطُ: الكُرهُ وعدمُ الرِّضا، فإذا اشتدَّ؛ صار غضبًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/213.
(2) السَّعديّ، تفسير السَّعديّ، ص: 294.
(3) الرّاغب، المفردات، ومرتضى الزَّبيديّ، تاج العروس: (غضب).
(4) الجرجانّي، التَّعريفات، ص: 209.
(5) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: 1/597.
(6) العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص:386.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 4/428.

السَّخط[1]، فالغضبُ مراتبُ: أوَّلُها السُّخْطُ[2]، واستخدامُ الغضبِ في هذا الموضعِ، هو الأبرُّ بسياقِ الوعيدِ والتَّهديدِ.

(الجدال) و(الخصومة):

الجدالُ: اشتدادُ الخُصومةِ، ويُمدَحُ في مواضعَ؛ إذا كان بالَّتي هي أحسن

جَدِلَ الرَّجلُ جَدَلًا، فهو جَدِلٌ، من باب تَعِبَ؛ إذا اشتدَّت خصومته، وجادلَ مجادلة وجدالًا؛ إذا خاصمَ بما يشغل عن ظهورِ الحقِّ، ووضوحِ الصَّوابِ، هذا أصلهُ. ثمَّ استُعمل على لسان حَمَلَة الشَّرعِ في مقابلةِ الأدلَّةِ لظهورِ أرجحِها، وهو محمودٌ إن كان للوقوف على الحقِّ وإلّا فمذمومٌ[3]. والجدَلُ شدَّةُ الخصومة[4] ولفظُ الجدلِ هو المناسبُ للسّياقِ.

(الانتظار) و(التربُّص):

التَّربُّصُ: انتظارٌ بمُكثٍ وطولٍ في المدَّة، والانتظارُ: ترقُّبٌ وتوقُّعٌ

الانتظارُ: هو التَّرقُّب والثَّبات لتوقُّع ما يكون من الحالِ[5]، والتَّربُّص طولُ الانتظار والتَّمكُّث، وأصلهُ من الرُّبْصَةِ، وهي التَّلبُّث، يُقال: ما لي على هذا الأمر رُبْصةٌ، أي: تلبُّثٌ في الانتظارِ حتَّى طال[6]. ويُطلقُ على العِدَّة الَّتي تمكثُها المرأةُ بعد وفاةِ زوجها أو طلاقها، لأنَّها تُطيل الانتظار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: 228][7] فاصطفى النَّظمُ الكريمُ اللَّفظَ الدّالَّ على قلَّةِ المهلة، تناسبًا مع التَّعبيرِ بما يُعلي تحقُّقَ الوعيد.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، ومرتضى الزَّبيديّ، تاج العروس: (سخط).
(2) الثّعالبيّ، فقه اللّغة، ص: 130.
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: 1/93.
(4) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (جدل).
(5) المناوي، التَّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 64.
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (ربص)، والعسكريُّ، الفروق اللّغويّة، ص: 122، والكفويّ، الكليّات، ص: 320.
(7) المناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 95.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»